

### خطبة استسقاء ٣ / ٣ / ١٤٤١ هـ للشيخ محمد السبر جامع ماضي السديري بالرياض

الحمد لله العزيز الغفار، الكريم الوهاب؛ يغفر الذنوب جميعا، ويجيب الدعاء، وينزل الغيث من السماء، نحمده حمد الشاكرين، ونستغفره استغفار التائبين المنيبين، ونسأله من فضله العظيم؛ إنه هو البر الرحيم، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، وصفيه وخليله، بلغ الرسالة وأدى الأمانة، وعبد ربه مخلصا حتى أتاه اليقين، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين.

أما بعد: فاتقوا الله، عباد الله، وراقبوه ولا تعصوه، وتوبوا إليه واستغفروه، إنه كان للأوابين عفورا.

معاشر المؤمنين والمؤمنات: عندما تجذب الأرض وينقطع الغيث وتشتدُّ اللاواء ويفشو الغلاء يرجع أولو الأبواب إلى أنفسهم، فيتفكرون في بواعث ذلك، ويتدبرون قول ربه تبارك وتعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ولأمته من بعده: (مَا أَصَابَكُ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا) ، (وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ) .

إن شؤم المعاصي وبيل، وقد قال ربنا في محكم التنزيل: (ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ). قال أبوهريرة رضي الله عنه: " إنَّ الحِجَارَى لَتَمُوتُ فِي وَكْرِهِا مِنْ ظَلَمِ الظَّالِمِ ". وقال مجاهد: " إنَّ البهائم لتلعن عصاة بني آدم إذا اشتدت السنة وأمسك المطر، وتقول: هذا بشؤم معصية ابن آدم ". واعلموا غفر الله لي ولكم أن منع الزكاة، وبخس المكاييل والموازين، والغفلة عن الله، من أسباب القحط، ومحق البركات، وشدة المؤنة، والضيق في الأرزاق وفي الحديث: " لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا، ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المؤونة وجور السلطان عليهم، ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا.. " رواه ابن ماجه وصححه الحاكم.

وسنة الله في خلقه، ولا تبديل لسنته، أنه ما ظهرت المعاصي في أمة إلا أذلتها، ولا تمكنت من قلوب إلا أعمتها، ولا فشت في ديار إلا أهلكتها، حتى تدع الديار بلاقع، قال تعالى: (وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرْآنَ وَهِيَ ظَلِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ \* إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ آخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ) .

رأيت الذنوب تमित القلوب وقد يورث الذل إدمانها

وترك الذنوب حياة القلوب وخير لنفسك عصيانها

والشرك بالله تعالى من أعظم أبواب القفر واندثار الخيرات ومحق البركات، يليه سفك الدم الحرام ثم الوقوع في الزنا كما في آية الفرقان: (وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا) .

وسنة الله تعالى في العصاة لا تتخلف، (كذأب آل فرعون والذين من قبلهم كفروا بآيات الله فأخذهم الله بذنوبهم إن الله قوي شديد العقاب \* ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ) .

إذا كنت في نعمة فارعها فإن المعاصي تزيل النعم

وحطها بطاعة رب العباد فرب العباد سريع النقم

إِنَّ مَا يُنَزِّلُ اللَّهُ مِنْ بَلَاءٍ وَمَا يَقْدَرُهُ مِنْ ضَنْكٍ وَمَا يَقْضِي بِهِ مِنْ شِدَّةٍ يَسْتَوْجِبُ الْاسْتِكَانَةَ لَهُ وَصَدَقَ الْاِلْتِجَاءُ إِلَيْهِ، وَالْخُضُوعُ لِعَظَمَتِهِ بِالذَّلِّ وَالْانْكَسَارِ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَقَدْ ذَمَّ سُبْحَانَهُ الَّذِينَ لَا تَوَرَّثُهُمُ الشَّدَائِدُ اسْتِكَانَةً وَلَا تَعْقِبُهُمْ تَضَرُّعًا لَهُ فَقَالَ : (وَلَقَدْ أَخَذْنَاَهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ) .

الاستغفار والتوبة من أسباب تنزل الرحمات والبركات، وحصول الفلاح في الدنيا والآخرة، قال تعالى: (لَوْ لَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) ، وقال تعالى: (وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)، وقال سبحانه حكاية عن نوح عليه الصلاة والسلام: (فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبِّي إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا \* يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا \* وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا) ، وقال عز وجل حكاية عن هود عليه الصلاة والسلام: (وَيَقُومُوا اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ) ، وقال صلى الله عليه وسلم في معرض حث الأمة على كثرة الاستغفار والتوبة: " إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة " رواه البخاري . وَقَدْ رَوَى الشَّعْبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَّ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حَرَجَ يَسْتَسْقِي، فَمَا زَادَ عَلَى الْاسْتِغْفَارِ، فَقِيلَ لَهُ: مَا رَأَيْتَكَ اسْتَسْقَيْتَ! قَالَ: لَقَدْ اسْتَسْقَيْتُ بِمَجَادِيحِ السَّمَاءِ الَّتِي يُسْتَنْزَلُ بِهَا الْمَطَرُ.

فأحذروا عباد الله بأس ربكم ، وفجاءة نقمته، وتحول عافيته، وزوال نعمه، فإن الله تعالى لم يكن مغيراً نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم، وإنه ما نزل بلاء إلا بذنب، ولا رفع إلا بتوبة، وإنكم قد شكوتم جذب الديار، وانحباس القطر عن البلاد، وتأخر نزوله عن حروثكم وزروعكم، وإن الله تعالى ما ابتلاكم بذلك إلا لتقبلوا عليه، وتلتجئوا إليه، فابتهلوا إليه ضارعين محبتين، وادعوه وألحوا في الدعاء، فإن الله يحب الملحين في الدعاء، فقد قال عز شأنه: (أَدْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ) ، وقال سبحانه: (وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دُخْرِينَ).

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، لا إله إلا الله يفعل ما يريد.

اللهم أنت الله لا إله إلا أنت، أنت الغني ونحن الفقراء، أنزل علينا الغيث ولا تجعلنا من القانطين، اللهم أغثنا، اللهم أغثنا، اللهم أسقنا غيثاً مغيثاً ، هنيئاً مريئاً ، طبقةً مجللاً ، سحاً عاماً، نافعاً غير ضار، عاجلاً غير آجل.

اللهم تحي به البلاد، وتغيث به العباد، وتجعله بلاغاً للحاضر والباد.

اللهم سقيا رحمة لا سقيا عذاب، ولا هدم ولا غرق.

اللهم اسق عبادك وبلادك وبهائمك وانشر رحمتك، وأحيي بلدك الميت.

اللهم أنبت لنا الزرع، وأدر لنا الضرع، وأنزل علينا من بركاتك، واجعل ما أنزلته علينا قوة لنا على طاعتك، وبلاغاً إلى حين.

اللهم إنا خلق من خلقك فلا تمنع عنا بذنوبنا فضلك.

{ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ } ، { عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ } ، { رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ } .

اللهم اسقنا الغيث، وآمنا من الخوف، ولا تجعلنا آيسين، ولا تهلكننا بالسنين.

اللهم يا من وسعت رحمته كل شيء، ارحم الشيوخ الرقع، والأطفال الرضع، والبهائم الرتع، وارحم الخلائق أجمع، برحمتك يا أرحم الراحمين.

عباد الله، لقد كان من هدي نبيكم صلى الله عليه وسلم أنه قلب الرداء حينما استسقى، واستقبل القبلة، ودعا ربه، وأطال الدعاء، فتأسوا به ، وادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة، عسى ربكم أن يرحمكم، فيغيث قلوبكم بالرجوع إليه، وبلاذكم بإنزال الغيث عليه.

سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.